

محمد المدهون : الملامح التي مُحيت والفصول التي نجت

محمود أبو هشيش

شارك 

Read in English

مثلما يمكن لنا أن نرى في الانتباه المبكر والجلي الذي حملته الأعمال المدمرة **للفنان محمد المدهون** للمكان، والاحتفاء بملامحه وهويته وتاريخه وأناسه، استحضاراً لما يكتنزه ذلك المكان من قوة وفرادة وما يثيره من اعتزاز، يمكننا كذلك، أن نرى الآن، وبالمقدار ذاته، أن ذلك الانتباه كان مسلطاً على كل ما بدا هشياً ومهدداً، وقابلاً للمحو أو الإبادة، ولا سيما في سياق مثل غزة المحاصرة، والمصوبة عليها عين المستعمر، وسلاحه، ورغبته الدائمة باختفائها، أو حلمه بأن يصحو ليجد البحر قد ابتلعها. كأن حديساً ما غامضاً في أعماق الفنان طالماً دفعه لتأمل الأرض، وما عليها من تلال وأشجار وصبار ووجوه وأسماء وما يتواتر عليها من فصول، وما يبوح المكان به، أو يكتنزه من طبقات في أعماقه.



محمد المدهون، شتاء غزة (٢٠٢١) ، المواسي (٢٠٢٢)

أمسك محمد في أعمال كثيرة على ملامح عميقة ومنسية لغزة كلما انجلى ترابها عن قطع جرار فخارية، أو عن جدار روماني، أو بقايا آثار حضارات غابرة. وقد شفت الأسماء التي اختارها لكثير من أعماله ومعارضه عن تلك الروح المتشبثة بالذاكرة

والتاريخ مثل " القوة وتحدي الزمن " و " ملامح تحدي " و "بقايا" و"ولادة جديدة" و"بئر الذاكرة" و"ملاحم الذاكرة" إلخ. كما يبدو أن انشغاله ذلك قد أخذ يتبلور منطلقاً من اهتمامه بذاكرة المكان، بما ينطوي عليه رمله وتراجه وماؤه من شذرات التاريخ وإشارات، ليمتد و يمسك على هوية المشهد الطبيعي بتلاله وأشجاره وصباره وأعشابه ومائه. لتبادرنا أعمال كثيرة له بأسماء أماكن لطالما اقتصرتها معرفتها على سياقها المحلي فقط، قبل أن تجعلها حرب الإبادة والتكرار اليومي للقتل والتدمير والألم أليفة ومكرورة حد الملل، لكل من يتابع عبر العالم مجريات الحرب وتوالد مآسيها في غزة. وما أدل على ذلك من عناوين وضعها للوحاته مثل: "**المواصي**" أو "**العزبة**" أو "**أجواء بيت حانون**"، و "**تِل العطايرة**". فقد مسحت حرب الإبادة كل تلك الأماكن واللامح، ودفنتها تحت أكوام من الدمار الرمادي، أو حولتها الآف الخيام الرثة إلى مخيمات نزوح يبدو فيها الوجود الإنساني في أكثر حالاته هشاشه وبؤساً وعرضة لكل أشكال القسوة والعنف، وكأنها غدت مسارح للمعاناة الإنسانية اليومية غير المسبوقة، وكذلك للتحدي والبطولة والصمود، مثلما أمست شواهد على الرعب الكامن في انفلات همجية الاحتلال والقوى الاستعمارية، وعلى عجز العالم عن لجم ذلك الانفلات، أو حتى تخفيف المعاناة الإنسانية الناجمة عنه.

تهيمن الذاكرة على أعمال المدهون، ليس بوصفها فعلاً فردياً في مجابهة النسيان، بل بكونها إرثاً جمعياً وإنسانياً مثيراً للفخر والاعتزاز ومهدداً بالمحو والإبادة في آن معاً. لذا قبضت أعماله على صورة **لقصر الباشا** في حي الدرج والذي يعود للعصر المملوكي، مثلما قبضت على بقايا جدار روماني صمد ألفي سنة أمام سطوة الزمن وعثراته الكثيرة والمتلاحقة في غزة، كما أمسكت لوحاته على الهشاشة والقوة الكامنة في شقوق جرة فخار أثرية. لكن محمد تعدى ذلك ليرسم وجوه من حوله أطفالاً وشباباً وعجائز، بما تحمل من تعابير وإشارات تعمق بدورها انشغاله في تسجيل هوية مكانه، وتأتي ذاكته بكل ما من شأنه أن يرسم ملامحه بثرائها وتعددتها.

في واحدة من أعماله "**شتاء غزة**" يصور محمد المدهون ذلك الفصل كما عرفته غزة، قبل أن تحوله حرب الإبادة والخيمة إلى ما يشبه النقمة أو اللعنة بمطره وصقيعه على سكان الخيام في مخيمات النزوح. لقد أبادت الحرب المكان بلامحه الأليفة وبيوته وأشجاره ووجوه أناسه وأشياءه الأليفة، مثلما **أبادت أعمال المدهون الفنية** التي حاولت القبض على كل ذلك، وبين حضور الأسماء التي بقيت والمسميات التي غابت، تظل هذه الصور، بصفتها شاهداً يجمع الدال والمدلول معاً، مساحة لتوليد اللغة القادرة على إعادة إنتاج الحياة والمكان غير القابلين للمحو أو الإبادة.

محمود أبو هشيش
كاتب وشاعر مقيم في رام الله

نُشر بتاريخ ٢٠٢٥-١-١١

READ MORE



DNA Exhibition

On Mustafa Muhanna's Sculptures

As much as Mustafa Muhanna's sculptural works reveal an apparent fragility—not only due to their compositions, which make them seem as if they are on the verge of disintegration, but also because of t...



DNA Exhibition

Mohamed Abusal: A Constant Tendency Towards Transcendence

Mohamed Abusal's artworks, destroyed in the genocidal war on Gaza, belong to two distinct periods of his artistic career: the early works completed in 2004 and others from the last three years before...



DNA Exhibition

The Paintings of Mohammad Al-Krunz: A Festival of Life

The images of Mohammad Al-Krunz's destroyed paintings stand as witnesses to key moments in the journey of a self-taught, passionate artist. He began with an intuitive talent for drawing, driven by his...

SHOW MORE

TERMS & SERVICES

[Privacy Policy](#)

[Legal Notice](#)

ARTZONE PALESTINE

[About](#)

[Contact](#)

NEWSLETTER

Subscribe to our newsletter for the latest updates on exhibitions, artists, highlights, and more.

Your email

SUBSCRIBE

© 2024 ArtZone Palestine

